التَّارِيخُ: 09.06.2023

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَمِنْ اٰيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلٰى جَمْعِهِمْ اِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ غَرَسَ غَرْسًا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ وَلَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً.

مَاذَا يُعَلِّمُنَا رَبُّنَا عَنْ اَلْبِيئَةِ؟

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الأَفَاضِلُ!

كَانَ أَحَدِ الصَّحَابَةِ الْقَادَةِ، أَبُو الدَّرْدَاءَ رَضِى اَللَّهُ عَنْهُ، يَغْرِسَ غَرْسًا ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ رَجُلاً، مُعْتَقِدَاً أَنَّ هَذَا اَلْعَمَلَ يَعْنِى اَلِانْغِمَاسَ فِى الْخَيْرَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ:"أَتَفْعَلُ هَذَا وَأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ؟ ثُمَّ ذَكَرَهُ أَبُو الدَّرْدَاءَ بِالْحَدِيثِ التَّالِى لِنَبِيِّنَا صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**" مَنْ غَرَسَ غَرْسًا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ وَلَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلا كانَ لهُ صَدَقةً"**[1].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الأَعِزَّاءُ!

اَلْكَوْنُ، نِعْمَةٌ خَلَقَهَا اللَّهُ مِنَ الْعَدَمِ وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهَا. إِنَّهَا أَمَانَةٌ فِى مِلْكِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ وَقَدْ وَضَعَ مَسْؤُولِيَّةَ إِعْمَارِهَا وَإِحْيَائِهَا عَلَيْنَا. وَإِنَّهُ كِتَابَ الْحَقِيقَةِ الَّذِى يُظْهِرُ وُجُودَ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتَهُ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ رَبَّنَا يَكْشِفُ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِى:**"وَمِنْ اٰيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلٰى جَمْعِهِمْ اِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ"**[2]. يُعَلِّمُنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ الْكَوْنَ الَّذِى خَلَقَهُ بِتَوَازُنٍ وَنِظَامٍ دَقِيقَيْنِ هُوَ عَمَلُهُ. يُذَكِّرُنَا أَنَّهُ خَالِقُ وَدَاعِمُ وَحَاكِمُ هَذَا الْعَالَمِ اَلَّذِى نَجِدُ فِيهِ الْحَيَاةَ وَمُحْتَوَيَاتِهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

اَلِإنْسَانُ الَّذِى يَنْظُرُ حَوْلَهُ بِعَيْنِ الْعِبْرَةِ سَيَرَى الْعَدِيدَ مِنَ الْحِكَمِ فِى حَقِيقَةِ أَنَّ السَّمَاوَاتِ تَقِفُ بِدُونِ أَعْمِدَةٍ، وَفِى الأَرْضِ كَيْفَ جَعَلَهَا مُنَاسَبَةً لِلْحَيَاةِ، وَبِاخْتِصَارٍ، سَيَرَى الْكَوْنَ الَّذِى لَا تَشُوبُهُ شَائِبَةٌ فِى نُمُوِّ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ مِنَ التُّرْبَةِ الَّتِى تَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ مَعَ الْمَطَرِ الَّذِى يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَيَجِدُ أَصْدِقَاؤُنَا الأَعِزَّاءُ الْعَدِيدَ مِنَ الأَمْثِلَةِ فِى الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ لِلْحَيَوَانَاتِ وَفِى الْفَوَائِدِ الَّتِى لَا حَصْرَ لَهَا الَّتِى تُقَدِّمُهَا لَنَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الأَفَاضِلُ!

يَكْتَشِفُ الإِنْسَانُ نَفْسُهُ عِنْدَمَا يَكْتَشِفُ الْكَوْنَ. وَكُلَّمَا تَعْرَفَ عَلَى الْعَالَمِ أَكْثَرَ، كُلَّمَا فَهِمَ بِشَكْلٍ أَفْضَلَ الْغَايَةَ مِنَ اَلْخَلْقِ. وَعِنْدَمَا يَفْهَمُ مُحِيطَهُ، يُدْرِكُ مِنْ أَيْنَ أَتَى وَإِلَى أَيْنَ هُوَ ذَاهِبٌ. وَبِقَدْرِ مَا يَعْرِفُ الإِنْسَانُ, اَلْمَاءَ أَنَّهَا مَصْدَرٌ لِلْحَيَاةِ، عِنْدَمَا يُفَكِّرُ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ خُلِقَ مِنْ قَطْرَةِ مَاءٍ، يُصْبِحُ مُتَوَاضِعًا وَمُتَطَهِّرًا مِنَ الْغَطْرَسَةِ. فَكَمَا يَفْتَحُ بَيْتَهُ لِنُورِ اَلشَّمْسِ وَحَرَارَتِهَا، فَإِنَّهُ عِنْدَمَا يَفْتَحُ قَلْبَهُ, لِنُورِ الإِسْلَامِ الْعَرِيقِ، سَيَسُودُ الْخَيْرُ فِى الْعَالَمِ. وَكَمَا يُدْرِكُ أَنَّ الْوُدْيَانَ الْخَضْرَاءَ, وَالْبِحَارَ اَلزَّرْقَاءَ الْعَمِيقَةَ, وَالسَّمَاءَ الْمُرَصَّعَةَ بِالنُّجُومِ هِىَ زِينَةُ الْكَوْنِ، وَعِنْدَمَا يُدْرِكُ أَنَّ الْحَيَاءَ وَالْعِفَّةَ هِىَ زِينَةُ الرُّوحِ ، فَسَوْفَ يَتَحَلَى بِالأَخْلَاقِ اَلْحَمِيدَةِ، وَيَجِدُ اَلسَّلَامَ وَيَنَالُ اَلسَّعَادَةَ اَلْحَقِيقِيَّةَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الأَعِزَّاءُ!

يَقُولُ رَبُّنَا الْعَظِيمُ فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:**"ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ اَيْدِى النَّاسِ"**[3]. كُلُّنَا نَرَى الْيَوْمَ بِوُضُوحٍ اَلْحَقِيقَةَ الْمَذْكُورَةَ فِى هَذِهِ اَلآيَةِ الْكَرِيمَةِ. أَنَّ الْكَوَارِثَ الْبِيئِيَّةَ الَّتِى نَشْهَدُهَا الْيَوْمَ نَاجِمَةٌ عَنْ إِهْمَالِنَا لِمَسْؤُولِيَّاتِنَا. كُلَّ يَوْمٍ، نَسْمَعُ أَخْبَاراً تُفِيدُ بِانْقِرَاضِ كَائِنٍ حَيٍّ آخَرَ. فَانْخَفَضَتْ اَلْمَوَارِدُ الطَّبِيعِيَّةُ فِى الْبِيئَةِ إِلَى الْحَدِّ اَلَّذِى أَصْبَحَتْ فِيهِ مُجَرَّدَ مَوْضُوعٍ لِلصُّوَرِ. وَبِسَبَبِ إِهْمَالِنَا وَعُيُوبِنَا،أَخَذَتِ الْغَابَاتُ بِالأَخْتِفَاءِ، وَالأَرَاضِى بِالتَّصَحُّرِ، وَالْمَوَارِدُ اَلْمَائِيَّةُ فِى اِلاخْتِفَاءِ. وَلِذَلِكَ، فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ مِنْ حَوْلِنَا لَهُ قِيمَةٌ عِنْدَ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى بِلُغَتِهِ. وَيُبَلِغُنَا رَبُّنَا اَلْعَظِيمُ بِهَذَا اَلأَمْرِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِى:**"تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ"**[4].

وَ لِذَلِكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الأَفَاضِلُ!

دَعُونَا نُقَدِّرُ كُلَّ كَائِنٍ مَخْلُوقٍ بِسَبَبِ خَالِقِهِ. وَدَعُونَا نَقْرَأُ كِتَابَ اَلْكَوْنِ بِحِكْمَةٍ وَتَفَكُّرٍ وَعِبْرَةٍ. وَلِنَسْتَخْدِمَ مَوَارِدَنَا بِاعْتِدَالٍ، وَلَا نُضَيِّعَهَا. وَدَعُونَا نُحَافِظُ عَلَى التَّوَازُنِ الدَّقِيقِ الَّذِى وَضَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى الْعَالَمِ. وَالْنُؤَدِّى مَسْؤُولِيَّاتِنَا تِجَاهَ بِيئَتِنَا بِوَعْيِ اَلْعِبَادَةِ. دَعُونَا لَا نَنْسَى أَنَّ الْمَالِكَ الْوَحِيدَ لِلْكَوْنِ هُوَ رَبُّنَا وَنَحْنُ الْمُسْتَخْلَفُونَ بِهِ. وَلَا نَنْسَى أَنَّ بِيئَتَنَا هِىَ إِرْثٌ مِنْ أَسْلَافِنَا وَأَمَانَةٌ فَرِيدَةٌ سَنَتْرُكُهَا لِأَطْفَالِنَا.

---

[1] أَبُو حَنْبَلْ ، اَلْجُزْءَ اَلسَّادِس ، 443
[2] سُورَة اَلشُّورَى ، 42 / 29
[3] سُورَة اَلرُّومِ ، 30 / 41
[4] سُورَة اَلْإِسْرَاءِ ، 17 / 44